النصوص المتشابهة في آيات الصفات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقول الله في كتابه:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)

محل الإجماع في نصوص الصفات هو عدم صرفها إلى أي معنى يثبت لله نداً أو شبيهاً مع عدم تعطيل دلالاتها اللغوية.وبعبارة أخرى
التفويض بأن هذه الصفات تليق بألوهيته وجلاله مع الاحتراز عن تفسيرها بالجارحة والجسمية المحالة في ذات الله (وهو مذهب السلف).أو تفسيرها بمعنى مجازي مما تقبله الدلالات اللغوية المتفقة مع النسب والقرائن عند أهل اللغة (وهو مذهب الخلف).فالتفسير الأول هو تأويل (إجمالي) والتفسير الثاني (هو تأويل (تفصيلي.

ومذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم والأوفق مع الإيمان الفطري المرتكز في كلٍّ من العقل والقلب.لكن قالوا : (مذهب السلف اسلم ومذهب الخلف أحكم)ووجه السلامة في مذهب السلف أنك إذا عينت معنى للآية قد تكون مخطئاً ،وبهذا تعرض نفسك للمسؤولية أمام الله تعالى.ووجه الإحكام في مذهب الخلف أنه أقوى في الرد على أصحاب الزيغ الذين يريدون إثارة الفتنة من البحث في المتشابه ليؤيدوا مذاهبهم الفاسدة.وإحجام السلف عن الخوض في التأويل التفصيلي ليس عن جهل أو عجز حاشاهم ،وإنما الحال الذي كانوا عليه (في بداية مرحلتهم عدم وجود الفرق الكلامية) لم يدعوهم لسلك هذا الطريق.

قال سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام (660هـ) ما نصه :(وليس الكلام في هذا - يعني التأويل - بدعة قبيحة، وإنما الكلام فيه بدعة حسنة واجبة لَمَّا ظهرت الشبهة، وإنما سكت السلف عن الكلام فيه إذ لم يكن في عصرهم من يحمل كلام الله وكلام رسوله على ما لا يجوز حمله عليه، ولو ظهرت في عصرهم شبهة لكذبوهم وأنكروا عليهم غاية الإنكار، فقد رد الصحابة والسلف على القدرية لما أظهروا بدعتهم، ولم يكونوا قبل ظهورهم يتكلمون في ذلك)فتاوى العز بن عبد السلام ص 22

قال الإمام الزركشي (794هـ) ما نصه :(قلت وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته، لقيام الأدلة على استحالة المشابهة والجسمية في حق البارئ تعالى)البرهان في علوم القرآن ج 2 ص 209

قال العلامة ملا علي القاري (1014هـ) ما نصه :(ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح - معاذ الله أن يظن بهم ذلك - وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك، لكثرة المجسمة والجهمية وغيرها من فرق الضلال، واستيلائهم على عقول العامة، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم، ومن ثم اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك)مرقاة المفاتيح ج 2 ص 136

والحاصل: أن الخلف لم يخالفوا السلف في الاعتقاد وإنما خالفوهم في تفسير المتشابه للمقتضي الذي حدث في زمانهم

قال الإمام سيف الدين الآمدي الشافعي (631هـ) ما نصه :(وما يروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل آية على ما ذكرنا عنهم ،وبين السلف الاختلاف في الألفاظ التي يطلقون فيها ،كل ذلك اختلاف منهم في العبارة مع اتفاقهم جميعاً في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيز بجهة ومن اشتغل منهم بتأويل يليق بدلائل التوحيد قالوا في قوله :وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله(84) الزخرف أراد به ثبوت الألوهية في السماء لا ثبوت ذاته .. إلى آخر الكلام.أبكار الأفكار (ص 194- 195)

قال العلامة ملا علي القاري (1014هـ) ما نصه :(اتفق السلف والخلف على تنزيه الله تعالى عن ظواهر المتشابهات المستحيلة على الله تعالى ،وخاض أكثر الخلف في التأويل لكن غير جازمين بأن هذا هو مراد الله تعالى من تلك النصوص ،وإنما قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ظواهر المتشابه ،والرد على المبتدعة المتمسكين بأكثر تلك الظواهر)مرقاة المفاتيح ج 1 ص 189

وتأويل الصفات بما يتفق مع دلالات اللغة وأصولها ليست نوعاً من التعطيل ،وليس صحيحاً أنه لا يوجد في السلف من جنح لتفسير آيات الصفات أو بعض منها إلى التأويل التفصيلي ،وعلى فرض أنه لا يوجد من السلف من ذهب هذا المذهب ،فمبدأ (عمل الصحابي) مختلف في كونه حجة بحد ذاته كونه من الأدلة الفرعية ،فكيف بمذهب التابعين وتابعي التابعين ؟!!(وإذا وقع الاحتمال سقط الاستدلال)فالميزان الذي لا مندوحة عنه في تفسير آيات الصفات هو ميزان اللغة العربية وما وصلنا من سنته صلى الله عليه وسلم ،يمارسه كل من كان ضليعاً في اللغة ومجتهداً في أصول الشريعة وعقائد الدين (وهذا هو منهج السلف بمن فيهم الأئمة الأربعة).

يقول الحافظ ابن الجوزي الحنبلي (592هـ) ما نصه :(وكيف يمكن أن يقال إن السلف ما استعملوا التأويل وقد ورد في الصحيح عن سيد الكونين صلى الله عليه وسلم قول لابن عباس اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل) رواه الحاكم في المستدرك انظر:المجالس ص 13

ودونك هذه الأمثلة من تأويل السلف الصالح وغيرهم

1- تأويل الصحابي ابن عباس 68هـ (الرحمن على العرش استوى) طه 5 بمعنى :ارتفع.تفسير البغوي للآيةوتأويله (يوم يكشف عن ساق) القلم 42 بمعنى :عن شدة.وقال سعيد بن جبير 95هـ :شدة الأمر.وقال الضحاك 102هـ :هو أمر شديد.وقال قتادة 118هـ :أمر فظيع وشدّة الأمر.تفسير الطبري للآيةفتح الباري لابن حجر ج 13 ص 428وتأويله (والسماء بنيناها بأيد) الذاريات 47 بمعنى :بقوة.تفسير الطبري للآيةوتأويله (فاليوم ننساهم) الأعراف 51 بمعنى :بالترك.تفسير الطبري للآيةوتأويله (إن ربك لبالمرصاد) الفجر 14 بمعنى :يسمع ويرىالأسماء والصفات للبيهقي ص 399وتأويله الكرسي بمعنى :العلم.تفسير الطبري لآية الكرسي

2- تأويل مجاهد 100هـ آية (فأينما تولُّوا فثم وجه الله) بمعنى : قبلة الله.تفسير الطبري للآية ج 1 ص 402الأسماء والصفات للبيهقي ص 309

3- تأويل الحسن البصري 110هـ للآية (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) الزمر 56 بمعنى :في طاعة الله.روح المعاني للآلوسي تفسير الآية.

4-تأويل السدي 128هـ لآية (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله) بمعنى :على ما تركت من أمر الله.تفسير الطبري (24 / 19)

5 - تأويل الأعمش 148هـ - كما نقل الإمام الترمذي - في حديث (أنا عند ظن عبدي بي ... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) بمعنى :بالمغفرة والرحمة.تحفة الأحوذي للمباركفوري ج 10 ص 64

6- تأويل حماد بن زيد 179هـ للحديث (ينزل الله إلى السماء الدنيا) بمعنى :إقباله على عباده.الأسماء والصفات للبيهقي ص 456

7 - تأويل الإمام مالك 179هـ (للنزول) بمعنى :نزول الرحمة.التمهيد لابن عبد البر ج 7 ص 143سير أعلام النبلاء للذهبي ج 8 ص 105شرح صحيح مسلم للنووي ج 6 ص 37

8-تأويل ابن المبارك 181هـ حديث (يدنو من ربه حتى يضع عليه كنفه) بمعنى :حتى يضع عليه ستره.خلق أفعال العباد للبخاري ص 61 - وفي طبعات أخرى ص 78فتح الباري لابن حجر ج 13 ص 477

9-تأويل الإمام الشافعي 204هـ (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة 115 بمعنى :فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه.الأسماء والصفات للبيهقي نقلاً عن الإمام المزني ص 309

-10تأويل الإمام أحمد 241هـ (وجاء ربك) الفجر 22 بمعنى :جاء أمر ربك كقوله تعالى (أو يأتي أمر ربك) النحل 32 ((وخير ما يفسر القرآن القرآن)).الأسماء والصفات للبيهقي ص 292مناقب أحمد للبيهقي (مخطوط)البداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 354دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص 110

-11تأويل الإمام البخاري 256هـ للحديث الصحيح (لقد ضحك الله الليلة من فعالكما) بمعنى :الرحمة.الأسماء والصفات للبيهقي ص 470فتح الباري ج 7 ص 82

-12 تأويل الإمام الترمذي 279هـ حديث الرؤية الطويل الذي فيه لفظة (فيعرفهم نفسه) بمعنى :يتجلى له مسنن الترمذي ج 4 ص 692وتأويله حديث (لو أنكم دليتم رجلاً بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله) بمعنى : هبط على علم الله وقدرته وسلطانهجامع الترمذي ج 5 ص 403

-13 تأويل الإمام الطبري 310هـ الآية :(ولتصنع على عيني) طه 39 بمعنى :بمرأى مني ومحبة وإرادة.تفسير الطبري للآية.وتأويله الآية :(ثم استوى إلى السماء) بعد أن ذكر معاني الاستواء في اللغة علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته..قال :علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال.تفسير الطبري الآية.

-14 تأويل اللغوي الزجاج 311هـ (للعلو) بمعنى :علو الشأن وارتفاع السلطان.تفسير أسماء الله الحسنى ص 60وأيده الأديب النحوي المرزوقي (421هـ) قائلاً :(الله تعالى لا تحويه الأماكن ولا تحيط به الأقطار والجوانب)الأزمنة والأمكنة ج 1 ص 92

-15تأويل ابن حبان 354هـ حديث (حتى يضع الرب قدمه فيها - أي جهنم) بمعنى :موضع صدق كقوله تعالى (لهم قدم صدق عند ربهم) يونس 2صحيح ابن حبان ج 1 ص 502

-16تأويل الإمام البيهقي 458هـ آية (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) بمعنى :صعود الكلم الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن حسن القبول لهما.الأسماء والصفات للبيهقي ص

-17 تأويلات الإمام القرطبي 671هـ في تفسيره :- أوَّل قوله تعالى: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) قال: أي ينتقم منهم ويعاقبهم. - أوَّل قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ) قال : قصد إليها. - أوَّل قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلآ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ) قال: إنما المعنى يأتيهم أمر الله وحكمه. - أوَّل قوله تعالى: (فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ) قال: أي نتركهم في النار. - أوَّل قوله تعالى: (إِنَّا نَسِيْنَاكُمْ) قال: تركناكم. - أوَّل قوله تعالى: (وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـهَا بِأَيْدِ) قال: أي بقوة وقدرة. - أوَّل قوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ) قال: أي أمره وقضاؤه.

-18 تأويل اللغوي ابن منظور 711هـ حديث :(من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعًا) بمعنى :القرب بالذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان لأن ذلك من صفات الأجسام والله يتعالى عن ذلك ويتقدس)لسان العرب - مادة : ق ر ب ج 1 ص 663- 664

-19 ما رواه ابن تيمية 728هـ عن جعفر الصادق في تأويل (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص 88 بمعنى :الدينوما رواه عن الضحاك من تأويله الوجه بذات اللهوما رجحه هو بقوله :إلا ما أريد به جهة اللهثم قال (وهكذا قال جمهور السلف)مجموع الفتاوى ج 2 ص 428 فما بعدها

-20تأويلات الإمام أبو حيان الأندلسي 745هـ في تفسيره :- أوَّل قوله تعالى: (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعِكَ إِلَيَّ) قال: [إِلَيَّ] هنا إضافة تشريف، والمعنى إلى سمائي ومقر ملائكتي. - أوَّل قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) قال: والجمهور على أن هذه استعارة عن جوده وإنعامه. - أوَّل قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) قال: أي ونحن أقرب قرب علمٍ بأحواله.

-21 تأويل اللغوي الفيروز أبادي 817هـ (للقرب) بمعنى :(وقرب الله تعالى من العبد هو الإفضال عليه والفيض لا بالمكان)بصائر ذوي التمييز (مادة: ق رب، 4/ 254).

-22 تأويل الإمام السيوطي 911هـ حديث (أتيته هرولة) بمعنى :صببت عليه الرحمة وسبقته بها.الديباج على صحيح مسلم للسيوطي ج 6 ص 44

... وغيره ما يصعب استقصاؤه فليراجع ...

فكل العلماء من سلف وخلف لا تتراجع أقوالهم عن التفويض مع التنزيه.بل إن أحدهم لم يكن يفسر الآيات المتشابهة على الظاهر مطلقاً لأن دلالتها على المراد غير واضحة ومتناقضة مع الآيات المحكمة بل كانوا يفسرون المتشابه برده إلى المحكم.(وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) آل عمران 7 يقول الإمام أحمد الرفاعي (578هـ) ما نصه :(صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر).روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال :(أنا ممن يعلم تأويله)الدر المنثور (2/152)، زاد المسير (1/354).لذلك يقول الإمام الشافعي (204هـ) :(آمنت بما جاء عن الله على مراد الله).
أما التفسير على أن الله تارة في السماء بذاته ،وتارة فوق السماوات السبع بذاته ،وتارة فوق العرش فوقية مكانية وتارة يحاذي العرش بذاته (فهذا لم يقل به لا السلف الصالح ولا الذين اتبعوهم بإحسان) بل هو قول المجسمة واليهود ،وهو باطل وكفر بالاتفاق ،وكافة علماء الأمة دونوا ما يدحضه وينفيه

... والحمد لله رب العالمين **...**

اعداد : طالب علم